# الشرق وأبناؤه

اعتاد دولة الامير الخطير ، « محمد علي باشا » ، شقيق الجناب العالي الخديوي أن يقوم في كل سنةٍ برحلةٍ في ناحيةٍ من انحاء العالم ، وأن يدوّن عند عودتِهِ آراءه وملاحظاتِهِ ووصفَ ما رأى وشاهد في كتابٍ ينشرُهُ ويهديه الى أصدقائِهِ تذكاراً لرحلته . وقد سافر في العام الماضي الى الولايات المتحدة ، وعرف القرآء من الصحف اليوميـة ضروب الحفاوة والإكرام التي قام بها السوريون في العالم الجديد ترحيباً بالأمير الشرقي المصري الكبير . فنشر دولته في كتابٍ تفصيل رحلتِهِ هذه ، وذكر السوريين بكل اطراء ، واثنى على همتهم وإقدامهم ، واحتفاظهم بقوميتهم العربية في أقصى الاصقاع . ونحن اليومَ ناقلون عن هذا الكتاب الجليل صفحةً عن حالة الشرق ، عسى أن يكون فيها عبرةً وذكرى . قال الامير حفظه الله :

إنَّ الثلاثين سنة التي قضيتُ معظمها جائلاً في أنحاء أوربا ، والتي لا أُنـكر المزايا التي اكتسبتها فيهـا بمعاشرتي واختلاطي بكبراء رجالها المفكّرين والمصلحين ، قد زادت في قلبي حبّ بلادي وتعلّقي بالشرق والشرقيين . فبـكلّ جوارحي أُنادي « فليعش الشرق وأبناؤه ! »

جديرٌ بنا أن نفتخرَ ببلادنا العزيزة ، مهبط الأنبياء ، ومنبع الأديان وأصل التاريخ ، ومصدر التمدين . فذكرُ مجد الشرق يُحزنني . فأين نحن الآن من عظمتنا الماضية ؟ ألقوا معي نظرةً في تاريخ حياة أجدادنا . انهُ كان مجيداً : فـكم بلادٍ فتحوها بشفار سيوفهم ، وكم أمم أخضعوها بقوّتهم وشدّة بأسهم ! إنهم لم يتركوا وسيلةً لإعلاء شأنهم ، واظهار عظمتهم ،

ونشر سلطانهم ، الاَّ اتخذوها ، مُقْدِمين عليها بلا خوفٍ ولا وَجلٍ . ولم يدَعوا باباً يوصلهم الى غايتهم الشريفة ، الاَّ طرقوه بدون تردُّد أو تهاون . فالتاريخ يشهد اذاً بما كان لهم من صفات الفاتحين ، كالشهامة والإقدام ، ولا سيما التفاف بعضهم حول بعض ، وجمع شملهم ووحدة كلمتهم واخلاصهم وشدَّة حبهم لبلادهم

فبالله ماذا جرى لنا حتى أصبحنا في مؤخرة الأمم المتمدينة ؟ إنَّ بلادنا لم تتغير ، رجالها هم أبناء أولئك الأجداد وأحفاد أولئك الأبطال . فماذا دهانا حتى وصلنا الى هذه الدرجة التي لا تسرّ ؟ أظنُّ أننا تهاونّا في أمورنا ، فحلَّتْ علينا المذلة والمسكنة ، وتركنا شؤوننا فغشيَنا من النعس ما غشيَنا »

الامير محمد علي

## الرقص المصري

قال العلاّمة ويلكنسون المؤرّخ الانكليزي في كلامٍ لهُ عن الحضارة المصرية : « إنَّ نساء قدماء المصريين كنَّ يرقصنَ في الفرح والترح على السواء . وتوجد في المقابر المصرية ، في بني حسن بمديرية المنيا ، صورٌ عديدة تمثّل الراقصات وهنَّ يتمايلن طرباً وسروراً على نغمات الدفوف والعيدان . ولا يختلف رقص بعضهنَّ عن رقص البطن المعروف عند المصريين الآن . وأُضيفُ الى ذلك أنَّ لباسَ الرقص عند بعضهنَّ كان عبارةً عن نسيجٍ رفيع من القطن مفصَّل بشكل الجسم ، ومنهُ يُرى

النحر والبطن والساقان . وكان بعضُهنَّ يرقصنَ بهيئةٍ قبيحة ، وفي أيديهنَّ الدفوف والصاجات »

وروى بعضُ المؤرخين أن المصريين تعلموا رقصَ البطن من الفرس، عندما أتوا الى مصر فاتحين . فأتقنتهُ نساؤهم ، وبرعنَ في حركاتهِ وسكناتهِ ، ولبثت الراقصاتُ موضعاً لاحترام العامَّة والخاصَّة ، حتى فتح المسلمونَ مصر، فدالت دولة الرقص . كما قضي على غيرها من فنون قدماء المصريين وعاداتهم

ثم دبّت روح الحياة في مصر في منتصف القرن الماضي . ووجد من سعى الى ترقية الآداب والفنون . فنهضت الموسيقى ، وارتقى الغناء ، وترعرع النثر والنظم . أما الرقص فبقيَ مهملاً ، لأن أبناء البلاد منعتهم أحكام الدين والعرف والعادات عن أن يقتبسوا عن الأفرنج الرقص الذي يشترك فيهِ الجنسان اللطيف والنشيط معاً . بل كانوا يرون أنَّ مجرَّد النظر الى راقصةٍ أمرٌ لا تجيزهُ الآداب . وكاد فن الرقص يُصبح نسياً منسياً لولا نسوةٌ من أهالي الصعيد أتقنَّهُ بعض الاتقان ، ولكنهنَّ لم يكنّ يرقصن جهراً في الأندية أو المراسح خوفاً من الحكومة

وكان بعض التراجمة والأدلاَّء يقودون السائحين الى بعض مواخير في القاهرة ، فترقصُ النسوةُ أمامهم بتهتُّكٍ شائنٍ ، وحركاتٍ معيبة ؛ بل كان بعضهنَّ يرقصنَ عارياتٍ ، فيخرج السائحون ساخطين على مصر ورقصها ، ويكتبون عن الرقص المصريّ قادحين ، بناءً على ما شاهدوا بعيونهم من الأمور التي لا ترضاها أحطُّ طبقات الأمم المتوحشة ، وكانت

كتابة هؤلاء السائحين من اكبر البواعث لحمل المصريين على مشاهدة هذا الرقص . فكانوا يبذلون العشرات من الجنيهات للتمتع سرًّا برؤية راقصة وهي تشتغل بصناعتها الشائنة

ثمَّ أخذ الرقصُ المصريُّ ينتشر شيئاً فشيئاً في الموالد التي تقام في الوجه القبلي . وقد تعلمتهُ النسوة هناك من فريق من النسوة المبتذلات اللائي أمرت الحكومة بنفيهنَّ من العاصمة وبعض جهات الوجه البحري الى مدينة أخميم

وعرفتُ منذ نحو ٣٥ سنة راقصة تدعى « بنت أبو شنب » كان يحضر رقصها الألوف . ومتى بدأت في العمل صمت الحاضرون كأنهم في معبد . فاذا انتهت طافت بهم « لجمع النقطة » فلا يقلّ ما تجمعهُ في الجلسة الواحدة عن مئتي جنيه ! !

ومن الغريب أنهُ بينما كان الرقص المصري منحطاً في مصر لا يُرى اليهِ إلاَّ بعين الإزدراء ، كان بالغاً أعلى درجات الرقي في اكثر بلاد الشرق والمغرب الأقصى . وجرى حديث في هذا المعنى منذ نحو ٢٥ سنة بين المسيو ماتولي يوانيدس «صاحب قهوة ألف ليلة وليلة» ورجل من المغاربة فذكر المغربي أنهُ توجد في تونس نسوة يُجذن الرقص المصري بلا تهتُّكٍ ولا تبذُّل . فاتفق المسيو يوانيدس مع مُحَدِّثهِ على أن يُحضِرَ بعض هؤلاء النسوة للرقص في مصر . فلبَّى الطلب . وفُتِحت أوَّل قهوة للرقص البلدي في شارع كلوت بك خلف قهوة « اللوفر » في سنة ١٨٨٧

وكانت أُجرة الدخول الى هذه القهوة عشرة غروش صاغاً للدرجة

الأولى ، وخمسة قروش للدرجة الثانية. ومع أنَّ المسيو يوانيدس كان يدفع لهذه الجوقة التونسية ستة جنيهات في الليلة ، فإن مكاسبهِ كانت عظيمة لإقبال المصريين على قهوتهِ واعجابهم برقص أولئك التونسيات . ورأى جماعةٌ من اليونانيين أن يقتدوا بالمسيو يوانيدس فأنشأوا في العاصمة والاسكندرية وبعض مدن الأقاليم قهواتٍ عدَّةٍ للرقص البلدي . وتعلَّمت المصريَّات الصناعة ، وأحكمنَ الملابس اللازمة لها . ووضع لهنَّ مشهورو الملحّنين أدواراً يرقصنَ على أنغامها . وساعدَهنَّ على إتقانها فريقٌ من مشهورى الطبَّالين . ووضع النظام المتبع في القهوات الراقصة ، وهو أن يغني المغنون دورهم ، ثم تتبعهم الراقصة ، فتخرج الى المرسح ملتفةً بعباءة ولا تلبث أن تبدأ بالرقص على نغماتِ العود والقانون والدربكّة ، وهي تتمايل في كسائها المعروف ، وهو قميص من الشاش ، وفوقه صدرةٌ حريرية مزركشة تستر الثديين ، وتنُّورة مفوَّفة بالأشرطة المذهبة . ومتى أتمَّتْ دورها يعود المغنُّون ، فالرقص وهكذا

وبلغ عدد قهوات الرقص البلدي في العاصمة منذ عشر سنوات ١٩ قهوة . ثمَّ قترت حرارة المصريين في الإقبال على هذه القهوات ، فانحطَّ عددُها الى ستّ قهواتٍ ، منها ثلاث مهدَّدةٌ بالإفلاس

وكانت هذه القهوات عامرةً بعددٍ يُذكر من شهيرات الراقصات ، بين مصريات وسوريات وفارسيات ومغربيات ، ومنهنَّ مَن حازت ماديات من اكبر معارض أوربا وأميريكا إعجاباً بصناعتهنَّ . وبلغت أُجور الشهيرات منهنَّ نحو ٦٠ جنيهاً في الشهر

ولكن هؤلاء البارعاتِ المتفنِّنات قد تعب بعضهنَّ وملَّ ، ويشاخ البعض ، واكتفى البعض بما جمعنَ من مال وعقار . فأهملنَ الصناعة . ولم يبقَ في القهوات الاَّ راقصات مقلّدات لايزيد راتب اكبرهنَّ عن عشرين جنيهاً في الشهر . ويكتفي بعضهنَّ بأخذ ثلثي قيمة ما يفتحهُ لهنَّ الزبائن من زجاجات البيرة، ويختلف ثمن الزجاجة من عشرة قروش الى ثلاثين قرشاً

وقرن بعضهنَّ الرقص بالغناء . وقد اشتدَّت المزاحمة يوماً بين اثنين من أصحاب القهوات على غانيةٍ مصريةٍ تجيد الفنَّين ، فبلغت أُجرتها ١٥٠ جنيهاً في الشهر عدا نصيبها في ثمن ما يُفتح لها من زجاجات البيرة والشمبانيا

ولبثت الحكومة زمناً ، وهي متأثّرة بأقوال أعداء الرقص المصري فصادرتهُ ، وأمرت باقفال بعض مراسحهِ . فقاضاها أصحاب هذه المراسح أمام المحاكم المختلطة ، فأصدرت محكمة الاستئناف حكماً قالت فيهِ « إنَّ الرقص المصري فنٌّ من الفنون الجميلة ، وليس فيهِ شيء مخالف للآداب بالمرَّة »

ولكن هـذا الحكم لم يقنع الكثيرين من أدباء المصريين ، فحمل الأديب الكبير محمد بك المويلحي على الرقص وأنديته حملةً شعواء في كتابهِ « حديث عيسى بن هشام »

وزار المستر رودي الكاتب الانكليزي قهوة « النوفرة » عند ما كان يرأس تحرير جريدة الاجبشن ستندرد أحد ألسنة الحزب الوطني ، فأعجب بها ، وأعلن اعجابه في مقالة نشرها في تلك الجريدة ، فقامت قيامة الصحف المصرية عليهِ ، واتّهم صاحب « المؤيد » المرحوم مصطفى كامل

منشئ الاجيشن ستندرد بأنهُ يدعو المصريين الى الدّعارة والفجور

ثم أخذ بعض الناقدين وأهل الرأي والمدركين حقيقة الفنون الجميلة يخفّفون من انتقادهم على الرقص البلدي ، ولا سيما بعد أن شاهدوا في أوربا وأمريكا ومصر من الرقص الافرنجي المعيب والتهتك الذي لا زيادة بعده لمستزيد

وقد حدث منذ شهرين أنَّ راقصة انكليزية أرادت السفر الى الهند فقامت الصحف الانكليزية منادية بالويل والثبور ، وطلبت من الحكومة منعها عن عزمها بدعوى أن الهنود لا ينظرون الى حركات هذه الراقصة بالعين التي يرى بها اليها أدباء الانكليز

وهكذا شأن القوم معنا ، فمهما تحشّمت الراقصة المصرية ، عدُّوا رقصها تهتكاً وابتذالاً . ومهما تهتكت الراقصة الأجنبية ورقّ الشفوف فأعلن ما استتر وجوباً وجوازاً من أعضائها ، عدُّوا عملها نهاية الرقي العقلي والأدبي . وسبحان مقسم العقول والأرزاق

مصر　　نوفيق حبيب

— الأملُ هو الخبز الذي تتغذى منهُ النفس كلَّ يوم

— اذا افتكرتَ بمصائب أمس الدابر ، هانت عليك مصائب اليوم الحاضر

— الابتسامة في ثغر بعض الناس تشبهُ وخز السنان

— أنشد مغنٍّ بين يدَي المأمون هذا البيت :

واني لمشتاقٌ الى ظلِّ صاحبٍ　　يروقُ ويصفو ان كدرتُ عليهِ

فصاح بهِ الخليفة : ويحك ! جئني بهذا الصديق وخذ نصف المملكة